

تفسير البحر المحيط

@ 397 @ بواوين على وزن فوعلت ، والمعنى : جعل لها وقت منتظر فحان وجاء ، أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة ، والواو في هذا كله أصل والهمزة بدل . قال الزمخشري : ومعنى توقيت الرسل : تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما قبله عليه وتقديره : إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون . { لَآيَ يَوْمٍ أَجَلٌ } : تعظيم لذلك اليوم ، وتعجب لما يقع فيه من الهول والشدة . والتأجيل من الأجل ، أي ليوم عظيم أخرت ، { لَآيَ يَوْمٍ الْفَصْلِ } : أي بين الخلائق . { وَيَلٌ } : تقدم الكلام فيه في أول ثاني حزب من سورة البقرة ، يومئذ : يوم إذ طمست النجوم وكان ما بعدها . وقرأ الجمهور : { نُهُلِكَ الْوَالَيْنِ } بضم النون ، وقتادة : بفتحها . قال الزمخشري : من هلكه بمعنى أهلكه . قال العجاج : . ومهمه هالك من تعرجا .

وخرج بعضهم هالك من تعرجا على أن هالكاً هو من اللازم ، ومن موصول ، فاستدل به على أن الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولهاً موصولاً . وقرأ الجمهور : { نُنْتَبِعُهُمْ } بضم العين على الاستئناف ، وهو وعد لأهل مكة . ويقوي الاستئناف قراءة عبد الله : ثم سنتبعهم ، بسين الاستقبال ؛ والأعرج والعباس عن أبي عمرو : بإسكانها ؛ فاحتمل أن يكون معطوفاً على { نُهُلِكَ } ، واحتمل أن يكون سكن تخفيفاً ، كما سكن { وَمَا يُشْعِرُكُمْ } ، فهو استئناف . فعلى الاستئناف يكون الأولين الأمم التي تقدمت قريشاً أجمعاً ، ويكون الآخريين من تأخر من قريش وغيرهم . وعلى التشريك يكون الأولين قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن كان معهم ، والآخريين قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم) . والإهلاك هنا إهلاك العذاب والنكال ، ولذلك جاء { كَذَلِكَ نَفْعُ الْعَالِ بِإِلْمِ الْجَرْمِينَ } ، فأتى بالصفة المقتضية لإهلاك العذاب وهي الإجماع .

ولما ذكر إفناء الأولين والآخريين ، ذكر ووقف على أصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها تجويز البعث ، { مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ } : أي ضعيف هو مني الرجل والمرأة ، { فَيَقْرَارُ مَكِينٍ } : وهو الرحم ، { إِلَآى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ } : أي عند الله تعالى ، وهو وقت الولادة . وقرأ علي بن أبي طالب : فقدرنا بشد الدال من التقدير ، كما قال : { مِّن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ } ؛ وباقي السبعة : بخفها من القدرة ؟ وانتصب { أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتٍ } بفعل يدل عليه ما قبله ، أي يكفت أحياء على طهرها ، وأمواتاً في بطنها . واستدل بهذا من قال : إن النباش يقطع ، لأن بطن الأرض حرز للكفن ، فإذا نبش

وأخذ منه فهو سارق . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون المعنى : نكفتم أحياء وأمواتاً ،
فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس . انتهى . و { رَوَّاسِيَّ } :
جبالاً ثابتات ، { شَامِخَاتٍ } : مرتفعات ، ومنه شمع بأنفه : ارتفع ، شبه المعنى
بالجرم . { وَأَسْقَيْنَاكُم } : جعلناه سقياً لمزراعكم ومنافعكم . .

{ انطَلِقُوا } إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ * انطَلِقُوا إِلَى طِلٍّ ذِي
ثَلَاثِ شُعْبٍ * لَا طَلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنْ هِيَ إِلَّا تَرْمِي بِهِ شَرَارِ
كَالْقَمَرِ * كَأَنَّهُ * أَضَلُّ * أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلَى لَهُمْ إِنََّّ كَيْدِي
مَتِينٌ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِرٌ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } . يقال للمكذبين : { انطَلِقُوا } إِلَى مَا
كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ : أي من العذاب . { انطَلِقُوا } إِلَى طِلٍّ : أمر ،
قراءة الجمهور تكراراً أو بيان للمنطلق إليه . وقرأ رويس عن يعقوب : بفتح